Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووفرت عليه حقه ، فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائلة ويضعه فى متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه أو أنه رأى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر على زمن دون زمن ولا خصَّ به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده فى كل دهر »(٢) .

فابن قتيبة لم ينتصف فى هذا النص لتقدم الزمن الذى يؤمن به أصولياً ممن تأخروا ، بل نظر بعين العدالة إلى حرية الإبداع وتطوره نظراً لاختلاف البيئات والأزمان . وموقفه هذا قائم على حرية العقلى الاعتزالى وعدالته ، وبه استحق أن يكون « مفكراً حراً » فى نظر أحمد أمين(٣) .

أما إيثاره لفظ « الأخذ » دون غيره من مصطلحات السرق فلأنه ممن كانوا يؤمنون بأن كل جديد لا يتسنى له الوجود إلا فى الانبثاق من القديم وأن تداخل العطاءات البشرية أمر مشروع لأن الكلام كالماء والهواء عطاء لا حدود له ولا يمكن الوقوف على السرق الحقيقى فيها « إلا بحفظ الأشعار الكثيرة التى لا يحصرها عدد »(٤) ولا ضير على الخالف أن يأخذ من السالف بل هكذا يجب أن يكون الاتباع . ولهذا كان مسوغ استخدام « الأخذ » أوجه من السرق ، والغصب وغير ذلك .

---

(٢) الشعر والشعراء ص ١٠ ، ص ١١ .

(٣) راجع : النقد الأدبى ٢ /٤٧٥ .

ويأتى هذا الموقف فى مواجهة موقفه عن التقليد وتقديسه للتقدم الزمنى الذى يتسق ومنظومته الفكرية الأساسية ، وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج على مذهب المتقدمين فى هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكى عند مشيد البنيان لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافى ، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير أو يرد على المياه العذاب الجوارى لأن المتقدمين وردوا الأواجن والطوامى ، أو يقطع منابت النرجس والآس والورد لأن المتقدمين جروا على منابت الشيح والحنوة والعرار » الشعر والشعراء ص ٢٢ . فإلحاحه على التقليد الذى يتجلى فى الاتباع لجوهر الحياة العربية الذى يمثله مصطلحات البداوة يبدو إشكالية إذا ما وضع بعيداً عن منظومته الفكرية .

(٤) المثل السائر ـــ ( تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـــ مصطفى البابى الحلبى ـــ ١٩٣٩ ) ٢ /٣٦٦ .